

تفسير ابن كثير

أرشد تبارك وتعالى عباده إلى دعائه الذي هو صلاهم في دنياهم وأخراهم فقال { ادعوا ربكم تضرعاً وخفيه } قيل معناه تذللاً واستكانه وخفيه قوله { واذكر ربك في نفسك } الاية وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال رفع الناس أصواتهم بالدعاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إن الذي تدعون سميع قريب] الحديث وقال ابن حجر عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله { تضرعاً وخفيه } قال السر وقال ابن حجر تضرعاً تذللاً واستكانه لطاعته وخفيه يقول بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بودانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهراً مراءة وقال عبد الله بن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وإن كان الرجل ليصلِي الصلاة الطويلة في بيته وعنه الزوار وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً ولقد كان المسلمين يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول { ادعوا ربكم تضرعاً وخفيه } وذلك أن الله ذكر عدداً صالحاً رضي فعله فقال { إذ نادى ربه نداء خفياً } وقال ابن حجر يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة .

ثم روي عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله { إنه لا يحب المعتمدين } في الدعاء ولا في غيره وقال أبو مجلز { إنه لا يحب المعتمدين } لا يسأل منازل الأنبياء وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن زياد بن مخرّاق سمعت أبا نعامة عن مولى لسعد أن سعداً سمع ابنا له يدعوه وهو يقول : اللهم إني أسألك الجنة ونعميها وإستبرقها ونحوها من هذا وأعوذ بك من النار وسلامتها وأغلالها فقال لقد سألت الله خيراً كثيراً وتعودت به من شر كثير وإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء - وفي لفظ - يعتدون في الطهور والدعاء - وقرأ هذه الآية { ادعوا ربكم تضرعاً } الآية - وإن بحسبك أن تقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل] ورواه أبو داود من حديث شعبة عن زياد بن مخرّاق عن أبي نعامة عن مولى لسعد عن سعد فذكره والله أعلم وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا الحريري عن أبي نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنته يقول اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال يا بني سل الله الجنة وعد به من النار فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور] وهكذا رواه ابن

ما جه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان به وأخرجه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن سعيد بن إياس الجريري عن أبي نعامة واسمها قيس بن عبابة الحنفي البصري وهو إسناد حسن لا بأس به و أعلم .

وقوله تعالى { ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها } ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض وما أضره بعد الإصلاح فإنه إذا كانت الأمور مأشية على السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد فنهى تعالى عن ذلك وأمر بعبادته ودعائه والتضرع إليه والتذلل لديه فقال { وادعوه خوفاً وطمعاً } أي خوفاً مما عنده من ويل العقاب وطمعاً فيما عنده من جزيل التواب ثم قال { إن رحمة الله قريب من المحسنين } أي إن رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون أوامرها ويتركون زواجره كما قال تعالى { ورحمتي وسعت كل شيء فسألتها للذين يتقوون } الآية وقال قريب ولم يقل قربة لأنه صمن الرحمة معنى التواب أو لأنها مضافة إلى الله فلهذا قال قريب من المحسنين وقال مطر الوراق تنجزوا موعدكم الله بطاعته فإنه قضى أن رحمته قريب من المحسنين رواه ابن أبي حاتم